

السائقون الجدد و حوادث السير . لماذا يموت الشباب على الطرق؟ و أين أهل السياسة من الحل الحقيقي؟ هل الحل فعلا في رفع السن التي يتأهل فيها الشاب أو الشابة لرخصة القيادة؟ أم أن المشكلة في مكان آخر؟ و ماذا لو أنشأت مدارس خاصة لجعل سائقي المستقبل يعيشون حالات الإصطدام و يفهمون قوانين الفيزياء في ميزانية السيارة؟

يكاد لا يمر أسبوع من دون خبر عن حادث سير مروع ضحيته شبان و شابات في ربيع العمر، و مع هذا المنحنى المقلق ترتفع الأصوات المطالبة بحضر الشباب من القيادة قبل بلوغهم سناً معينة.

هذا الموضوع هو محور اللقاء التالي مع الكاتب "جونار نادر" الذي يعقد ندوات بشكل مستمر مع الشبيبة، سواء لتدريبهم على فن القيادة أو للبحث معهم في أمور الحياة.

المقدم: جونار، ما رأيك أولاً بالمقترحات التي تقول بأنه لا بد من رفع السن للشباب أو للفتاة قبل السماح لهم بالقيادة حتى نقلل من حوادث السير؟

جونار: أنا دائماً أشعر بالقلق عندما يقوم المجتمع أو الحكومة بتغيير القانون لأن الأقلية لا تستطيع أن تهدئ نفسها. على سبيل المثال، نعرف أنه في مراكز التسوق من الممكن أن يدخل 1000 شخص إلى السوبرماركت و من الممكن أن يكون بينهم 2 يقومون بالسرقة، لذا يقومون بوضع كاميرات لمراقبة 1000 شخص، بينما المشكلة الفعلية في شخصين فقط. و مثلاً يكون هناك أمر ما في العمل مثل أن يقوم موظف معين بالتدخين في المكتب في حين أنه أمر ممنوع، و بدلاً من أن نتوجه إلى المدخنين و نقوم بمعاقبتهم أو مساعدتهم أو منعهم من التدخين في المكتب، نقوم بكتابة لافتة كبيرة جداً حتى يقرأها 5000 شخص و هم ليسوا معنيين بها. أي أننا دائماً ما نقوم بتصرف من شأنه معاقبة الأغلبية في حين أن المشكلة في الأقلية.

كما هو الحال عندما نطالب برفع السن القانوني للقيادة، بدلاً من أن يكون 16 أو 17 عاماً، يكون 20 عاماً. مالذي حققناه فعلاً؟ إن هذا أمر غير ملائم، نحن نتحدث دوماً على الإذاعة عن موضوع أن الشباب لديهم الكثير من الإدارة، و الذكاء و الوعي، و لكن عندما يحدث أمر كهذا، نقول لهم بأنهم لا يفهمون، و لا يستطيعون و أننا لا نستطيع أن نثق بقدراتهم، و أنه ليس لديهم الوعي الكافي و أنه ليس لديهم المهارات التنظيمية، و أننا سوف ننتظر حتى تبلغوا سن الـ 21.

المقدم: و لكن جونار، المشكلة أن هناك ضحايا يموتون، و ليس المتأثر فقط هو الشباب، بل المجتمع بأكمله.

جونار: هذا صحيح، إذاً، يجب أن نقوم بالأمر الصحيح، و ليس أمراً سياسياً، لأنه من السهولة أن تنتقل، و الأمر ليس عبارة عن موقف سياسي. أنا أتفق معك، و أعلم أنه هناك أناس يتعرضون للأذى، و لذلك يجب القيام بالشيء المناسب. و لكن أن تخبر الشاب بأنه يجب أن ينتظر حتى يبلغ الواحد و العشرين من العمر أو الخامسة و العشرين، فهل تعتقد أن هناك فرق؟ لا أظن ذلك لأن التغيير يجب أن يكون في الجوهر و في الجذور.

المقدم: لقد إشتغلت كثيراً مع الشباب، فما هو السبب وراء مثل هذه الأمور من رأيك، هل أن الشاب أو الفتاة يكونون في حماس شديد في بداية أعمارهم، أم أن هناك أمر آخر يجهله المجتمع؟

جونار: يجب أن نعي جيداً ما هي المشكلة، إن المشكلة ليست أننا لا نستطيع أن نأتمن الشاب أو الفتاة، لأنه لا يوجد شاب أو فتاة يحبون أن يؤذوا أنفسهم، أنا كنت مجتمعاً مع الشباب في مرة، و كان هناك شاب تأخر قليلاً في الحضور، ووصل بسيارته، و كان يقوم بالقليل من الإستعراض، فقاد سيارته بسرعة و قام بإيقافها بسرعة حتى يظهر لنا أنه يستطيع أن يقوم بعمل إيقاف سريع، و عندها أخطأ التقدير و إصطدم باللافتة التي أمامه و أدى ذلك إلى خدش بسيط جداً في سيارته، و كان منزعجاً جداً لهذا الأمر. لا يوجد أي شخص يقود سيارته و يقوم بإستعراض فيها يحب أن يقع في حادث. و لكن مالذي يقومون به فعلاً، إن الموضوع بكامله في هذه الحالة يدور حول الإستعراض، و لكن من هو الذي في سن 25 أو 35 أو 45 و ليست لديه الرغبة في الإستعراض؟

المقدم: من المؤكد أن كل شخص لديه مشكلته الخاصة، و لكن من صغار السن من يفقد تحت تأثير الكحول.

جونار: إن مشكلة القيادة تحت تأثير الكحول ليس مرتبطة بالشباب فقط، إنها مشكلة كبيرة تواجه المجتمع، و أنا دائماً أخبرك رأي الشخصي بها، و لكن، ما هي المشكلة الحقيقية التي نواجهها؟ بداية، في الماضي كنا نتابع مغنية الأوبرا، إذا ظهرت بشعر أحمر، أردنا كلنا صيغ شعرنا باللون الأحمر، و إذا لبست شيئاً طويلاً، فإن الجميع سوف يرغب بشيء طويل، و لكن لا أحد يراقب مغنية الأوبرا في هذه الأيام، الآن الجميع يراقب تصرفات نجوم السينما و نجوم الرياضة، بمعنى أن مفهوم الشهرة قد تغير، و هذا يعني أن مفهوم إحترام الذات قد تغير. كنا في الماضي نقول بأن الشاب الذي لديه شهادة دبلوم هو شاب ذكي، و لكن هذا لم يعد يكفي لإيجاد إحترام الذات، إذاً من أين سوف يأتي إحترام الذات، سوف ترى الشاب يبحث عن ما هو رجولي، و الفتاة تبحث عن ما هو أنثوي، و عن ما أستطيع أن أثبت من خلاله للناس الذين يقللون من شأنني بأن لدي قيمة، حتى و لو كان هذا الإثبات من خلال أمر خارجي، إذاً ما هو هذا الأمر الخارجي؟ ربما أظن بأن إخافة الآخرين يعطيني هذه القيمة، القيمة المزيفة بالطبع، أو أن ظن أن الناس لو إعتقدوا بأنني غني فسوف أحصل على هذه القيمة. و ترى بأن الشخص الحاصل على الحزام الأسود في الكاراتيه مثلاً لا يخبر أحداً، و لكن الشخص الذي لا يستطيع القتال يستمر دوماً في التظاهر بأنه خبير في الفنون القتالية.

المقدم (ضاحكاً): ذلك لأنه ليس لديه القدرات الحقيقية. من المؤكد جونار أنك تقوم بطرح هذه المواضيع مع الشباب عندما تلتقي بهم.

جونار: في الحقيقة، فإن الشباب لا يفضلون الإعتراف بأنهم يبحثون عن الحب و عن الإهتمام و عن من يقول لهم "أنت طيبعي كما أنت، و نحن نتقبلك" و لهذا فإنهم يبحثون عن الشهرة، و التظاهر، و إذا قمت بأخذ السيارة منهم، فإنهم سوف يجدون وسيلة أخرى للتظاهر، من الممكن أن ينضموا إلى عصابة أو فريق أو شيء مماثل. و لهذا فإن الرغبة في الشهرة هو الأمر الأول، الأمر الثاني الذي يجب معرفته هو قانون الفيزياء، أنا من رأي أن الشباب الذين يقعون في حوادث السير من المؤكد أنهم لا يودون أن تحصل مثل هذه الحوادث، لأنهم يخافون بالتأكيد من هذا الأمر و من فكرة إيذاء الآخرين، و لكنهم لا يعرفون فيزيائيات السيارة، و هذا ليس مرتبط بالصغار فقط، كذلك الكبار لا يعرفون بالتحديد مدى قدرتهم على القيادة، و إذا أردت فعلاً أن تساعدهم، فلن يكون ذلك من خلال أن نقول لهم "انتظر حتى يصبح عمرك 20 أو 25"، و لكن

من عمر 13 أو 15 عاماً، سوف تقوم بتزويدك بالتدريب الكامل حتى تستطيع التحكم في السيارة. و لكن من الذي يعطي هذا الشاب هذه الخبرة، لو طلب الشاب من والده أن يقوم بتعليمه لمدة 100 ساعة أو 300 ساعة، لن يستفيد شيئاً لو كان الشخص الذي يعلم لا يستطيع التعليم، و السيارة التي تتعلم عليها ليست مناسبة.

إن ردت فعلي هي ان الإعلام الآن لا يقوم بعمله بشكل صحيح و لا يسأل السؤال الصحيح للسياسيين، و السياسيون يعلمون أن الآباء و الأمهات يودون أن يعلموا أنهم يقومون بعمل شيء من أجل مساعدة الأبناء، لأن لا أحد يرغب أن يؤذى أبنائه أو أن يؤذوا غيرهم ، و لكن لا أحد يسأل السياسيين السؤال الصعب، و الآن أنا و أنت نضيع وقتنا في الحديث عن هذا الأمر من الزاوية السياسية فيما يتعلق بزيادة العمر، و الأمر لا علاقة له بالعمر، هناك من أبناء الأربعة عشر عاماً من لديهم شركات فيها 500 موظف، و يحصلون على 200 مليون دولار أرباح. ابن الأربعة عشر عاماً يستطيع أن يقوم بالتزجح على رأسه، فهم أذكيا جداً.

المقدم: إذا أنت ترى أنه يجب أن نقوم بتقليل العمر حتى يتعلم الأبناء بسن مبكرة، بينما هم يطالبون بزيادة العمر .

جونار: نعم، لأنك يجب أن تزيل الغموض، لأنك إن وضعت غموضاً حول الكازينو مثلا، بحيث تقول للشخص أنك لا تستطيع الدخول إلى الكازينو حتى تبلغ الثلاثين، عندها سوف يزيد فضول الشخص حتى يدخل إلى الكازينو. و كذلك إذا أخبرت الشاب بأنك لن تقود السيارة حتى تبلغ من العمر 21 عاماً، فالذي قمنا به من ناحية نفسية أننا أخبرنا الشاب بأنك عندما تبلغ 21 عاماً فإنك سوف تصبح رجلاً، لأنه يرى أن هذا هو رمز الرجولة، في الماضي كان هناك رموز مختلفة للرجولة، كان هناك طفوس مختلفة، و حفلات مختلفة. كان في الماضي الأمر مثلاً مرتبطاً بالزواج، فترى الشاب لا يستطيع الإنتظار حتى يتزوج لكي يحضى باحترام العائلة.

المقدم: و لكن عملية زيادة العمر هنا هي بهدف الإنتظار حتى يزداد وعي الشاب أو الفتاة.

جونار: لا أظن ذلك، نحن نعلم على سبيل المثال بأن التدخين قاتل، هل رفع سن السماح بشراء السجائر إلى الثلاثين عاماً سوف يزيد من وعي المدخن؟ أو إذا رفعنا سن السماح بالقمار إلى سن الثلاثين، فلن يقوم أحد بلعب القمار؟ لأنهم أصبحوا أكثر وعياً؟ يجب أن تذهب في الطريق المعاكس، يجب أن تزيل عامل الغموض عن الأمور، و يجب أن تزيل العلاقة بين القيادة و بين الرجولة، بالتأكيد فإن الناس سوف يقومون بالتظاهر بشكل مادي، لذلك أن ما أقوله هنا هو أن هذا أمر معقد، لذا يجب النظر إليه من ناحية نفسية و من ناحية مادية، هناك الكثير من الناس يجب أن لا يكون لديهم رخص قيادة، إننا نرى الكثير من الناس سيئي القيادة على الطريق، بسبب الشرب أثناء القيادة و بسبب إستخدام الهاتف المتحرك، لذا يجب أن لا يحصل أحد على رخصة القيادة إلا إذا ذهب إلى مدرسة ممتازة لتعليم القيادة.

المقدم: أي أن الأهل ليس هم الذين يقومون بالقيادة.

جونار: بالطبع لا، من أين لهم الوقت والخبرة، أنا لا أقول بأنهم أغبياء، و لكني أقول بأنهم ليسوا محترفين، فلو كنت أنت أفضل عالم في أستراليا، فليس بالضرورة أن تستطيع أن تعلم الآخرين، و إذا كنت شديد الذكاء في الرياضيات، فليس بالضرورة أن تكون جيداً في التعليم. لأن التعليم هو مهنة بحد ذاته، لذا فإن المعلم يجب أن يكون على درجة من الإحتراف كدرجة المهندس في عمله، و لكن هذا لا يعني أن المهندس يستطيع أن يعلم. إذا لا نستطيع أن نقول أنه بسبب أن أبي سائق ماهر، فهذا يعني أنه يستطيع أن يعلمني، لأن هذا موضوع آخر. و كذلك لا ننسى أن هناك الكثير من الأولاد من هم أقوى من أهلهم، أفلا تظن أنه لو طلبنا من الشاب أو الفتاة أن يأتي بكتاب التدريب موقع عليه من الأهل أن الشاب أو الفتاة قد تدرّب لمدة 50 أو 100 أو 300 ساعة، إلا تظن أن بعض الأبناء قادرين على إقناع أهلهم بالتوقيع على أي شيء؟

المقدم: إنت إذا تقترح بأن مدرسة تعليم القيادة سوف تعلم أمور أخرى غير القيادة؟

جونار: نعم بالطبع، يجب أن تعلمني كيفية التعامل مع الحوادث، فإذا أردتني أن أكون جندي قوي، بدون أن تعلمني كيفية القتل، فكيف سوف أصبح جندي قوي؟ أترى هنا المشكلة في التضاد الذي يعيش فيه العالم؟ يظن الناس أن الكتب التي أكتبها مضحكة، "كيف تخسر الأصدقاء" يظنون أنني أخبرهم شيئاً مضحكاً، إذا في أثناء حياتك كاملة كان هناك من يعلمك كيف تكسب الأصدقاء، فلا بد أن يعلمك أحد كيف تخسر الأصدقاء، و إذا كنت طوال حياتك تتعلم كيف تكون صبوراً، يجب أن يعلمك أحد الوقت المناسب لكي تقاتل، و إذا كنت طوال حياتك تتعلم كيف تكون صادقاً، و لم يعلمك أحد كيف يكون الشخص الكاذب، فكيف لك أن تعرفه، إذا كان الجميع في الشركة لديك صادقين، فكيف سوف ترى الناس اللصوص و الغشاشين، إذا لم تكن تعرف ما هم، إذا أنا لا أريدك أن تسرق، و لكن أريدك أن تعرف كيف و من هو السارق، و لذلك، إذا كنت سوف تعلمني السلامة، يجب أن تعلمني ما هو الطريق الغير آمن، فالأب ليس لديه القدرة على تعليمي الطريق الغير آمن، لذا كما أن لدينا مكان للتسوق و مكان للرياضة، يجب أن يكون هناك مكان مخصص لتعلم القيادة، و شخص متخصص لتعليم القيادة و سيارة متخصصة للتعليم، و يوجد هناك أماكن لتعليم القيادة للمحترفين، و لكنها تجارية، لذا يجب أن تكون هذه الأماكن إجتماعية و بناءة حتى يعي الطالب ماذا يعني وجود الماء مع الزيت على الطريق. و كيف أنني أظن بأنني لا أقهر، لأننا جميعاً نظن بأننا لا نقهر. لا تقل لي مراراً و تكراراً "لا تدخن" لأنني لن أستمع إليك، أنظر إلى الصور المقززة على علب السجائر بدون تأثير، هل تظن أن تأثير هذه الصور على المدخن أقوى من الإدمان؟ أنت تحاول أن تلعب في العقل الباطن لدي من خلال هذه الصور بحيث أقول لنفسي أنني لا أريد أن أموت أو أن أفقد قدمي أو أن يصيبني السرطان، بالتأكيد أن الشخص الواعي لا يريد أن يصاب بالسرطان، و لكن بعد قليل فإن جسمي سوف يتحدث لغة أخرى، سوف يطلب مني النيكوتين، و إذا لم أستجب له، فإنه سوف يسلبني السيطرة.

المقدم: و لكن إذا كان هناك مكان مخصص للتعليم، فلن يكون مثل التعلم على الطريق، لأن الطريق أكثر واقعية

جونار: هذا صحيح، و لكن في البداية أريدك أن تتعرف على العلاقة بينك و بين السيارة، و بينك و بين الفيزياء، لأن الكثير من الناس لا يفهمون الفيزياء. مثلاً الناس الذين يدخلون إلى الكازينو لا يعون قوانين الاحتمالات في الرياضيات. أنا من رأي أنه إذا أردت فعلاً أن تعلم الناس مدى غيابهم حتى يدخلوا إلى الكازينو، و لا أتحدث هنا عن الناس الذين يدخلون للتسلي فقط، و لا أتحدث عن الناس الذين يذهبون لتمضية الوقت فحسب، و لكن أتحدث عن الناس الذين يذهبون و لديهم إحساس ضئيل جداً بالريخ، إذا فأنت لم تتعلم قوانين الرياضيات. لذلك يجب أن نعلم الناس قوانين الاحتمالات حتى يفهموا الرياضيات و يقتنعوا و يخبروا أنفسهم "أنا لن أربح يوماً"، لأنك تراهم يذهبون و هم يقولون "يمكن أن أربح اليوم" لأنهم لا يفهمون الرياضيات. لذلك عندما يجلس الشاب أو الفتاة خلف مقود السيارة فإنه لا يعي -ليس الرياضيات هنا- و لكن فيزياء الكميات

و الجاذبية و السرعة و لا يستطيع الأب أن يعلمه هذه الأمور في البيت، لذا يجب أن يكون هناك مكان مخصص لهذا الأمر. و اليوم هناك تكنولوجيا قوية في جميع المجالات، كيف برأيك يتعلم الناس قيادة الطائرات؟ لقد أخذت أبناء أختي في مرة إلى محاكي الطيران الخاص، تكلفة القطعة الواحد 30 مليون دولار، و هي عبارة عن غرفة صغيرة بحجم السيارة أو بحجم غرفة القيادة في الطائرة و يقومون بتعليمك كل شيء يتعلق بالطيران في هذه الغرفة، فهل تظن أنهم سوف يقومون بتعليم الطيار كيفية الطيران من خلال قيادته لطائرة في السماء قبل أن يقوم بعملية المحاكاة؟ و مع التقنية الموجودة اليوم، ألا نستطيع أن نقوم بعمل برنامج محاكاة معين للقيادة حتى يتعلم عليه الأبناء من دون أن يرتكبوا حوادث حقيقية؟ بالطبع نستطيع.

لذا فأن ردت فعلي هي أنني أعارض هذا النقل السياسي، و التوجه الذي يقول "هناك مشكلة؟"، إذا سوف ننتظر" و الأمر مشابه لمشكلة البطالة، ففي حال وجود مشكلة بطالة يقول السياسيون "لنطيل فترة وجودهم في المدارس" أنا دائماً أستغرب لماذا يبقى الأبناء في المدرسة حتى سن الثامنة عشر؟ ان السبب هو أن هذا يناسب الحكومة، و حتى نقول أنهم في سلك التعليم و ليسوا في خط البطالة. لذا فإن لدينا العامل النفسي، و لدينا عامل الشهرة، و لدينا عامل الرجولة، و لدينا موضع عدم المعرفة الكافية بفيزياء السيارة، و لدينا موضوع أن المدرس لا يعرف كيف يدرّب، لأن التدريب مهنة، و ليس كل من يستطيع القيادة يستطيع التعليم، و كيف أن شخص يتدرّب على القيادة بناقل أوتوماتيكي قد يحتاج أن يقود بناقل حركة يدوي، و بدون علم كافي عن الماء و الزيت و الهواء. و هناك بالطبع مواضيع الشرب و المخدرات، يمكن أن أكون قد أخبرتك بأن والدتي كانت في المستشفى لمدة شهرين أو أكثر، و كانت في العناية المركزة لمدة أسبوعين. و العناية المركزة يعني أن الشخص لا يستطيع الحركة، و كان في السرير المجاور لها شاب في التاسعة عشر من عمره و كان قد أمضى في العناية المركزة في المستشفى حينها أكثر من خمسة أشهر و هذا أمر غريب أن يبقى في العناية المركزة لمدة 5 أشهر، لأنه في العادة يمضي المريض أسبوع أو أسبوعين فقط في العناية المركزة قبل أن يخرج، فلماذا إذاً هذا الشاب الذي يبلغ من العمر 19 عاماً قد أمضى 5 أشهر في العناية المركزة، و هو في حالة لا يستطيع الحركة أو الكلام أو أي شيء آخر، و نصف رأسه في ثلاجة الأعضاء في انتظار أن يقومون بإعادة تركيب أجزائه معاً، و السبب وراء هذا كله هو أنه كان يقود دراجة نارية بدون خوذة و كان قد تعاطى المخدرات و كانت الدنيا تمطر و كان يقود بسرعة و تجاوز إشارة حمراء، إذا هل هناك كارثة أكبر من هذه؟ و قد تعرفت على عائلته و إخوانه و كانوا عائلة رائعة لا ينقصهم شيء، إذا لماذا لا يوجد لدى مثل هذا الشاب ثقة كافية بأنفسهم لدرجة أنهم يلجؤون إلى المخدرات، و إذا ظن أحد أنه غير سعيد في حياته، فليقرأ الأخبار ليوم واحد فقط، و يرى كيف أن العالم تقتل و تعذب في الكثير من مناطق العالم، فهل هذا الشاب يعذب حتى يستعمل المخدرات؟ و لهذه الدرجة لا يحب نفسة و بحاجة إلى أن يحبه أصدقائه حتى يتجاوز إشارة حمراء من أجل أن يثير إعجابهم؟ لهذه الدرجة هو مشغول حتى يسرع؟ إذا الموضوع هو الحاجة إلى الحب، إلى تقدير الذات، إلى إكتشاف الذات، إلى إعتراف المجتمع، لذلك فأن لا أعتقد أن رفع السن المسموح عنده بالقيادة سيغير شيئاً. لأن الموضوع أكبر من ذلك.

المقدم: الكاتب جونا نادر، الذي يحاضر في صفوف الشبيبة عبر ندات خاصة بهم

المقدم: و بهذا ينتهي برنامج الشبيبة "شباب و مستقبل"